

رحلة الامام الشافعي

بقلمه

رواية تلميذه الربيع بن سليمان الجيزي

— ❦ —

القاهرة

١٣٥٠

— ❦ —

Obeyikanda.com

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن سار على سنته من أئمة الهدى * وسلم تسليماً كثيراً

وبعد فإني اقتنيتُ وأنا بمكة سنة ١٣٣٧ نسخة من مسند
إمامنا محمد بن إدريس الشافعي المطلبى رحمه الله ورضي عنه ،
مطبوعة بالمطبع الخليلي في الهند ، وبأولها رحلة الامام في طلب
العلم رواها عنه تلميذه الربيع بن سليمان الجيزي ، وهي من الخطأ
والتحريف بحيث لا يكاد القاريء يفهم كثيراً من مواضعها
وقد اعتذر عن ذلك محمد عبد العزيز البانكرموي التالكرامي
فقال :

« إعلموا يا أيها الخلان ، من أولي النهى والايقان ، ان في هذه الرسالة المسماة
برحلة الشافعي كم من مقام عجزت عن درك مطالبها عند كتابتها وصحتها من كثرة اغلاطها
فتركها علي حالها كما وجدتها في المنقول عنه . فاصفحوا عني ولا تتسوني عن دنائكم
بالحبيب . اهـ »

ومنذ اقتنيت هذه الرحلة وأنا في شوق شديد الى نشرها
في أيدي القراء صحيحة سالمة من التشويه ، وكنت أريد - لذلك -
أن أقف على نسخ منها مخطوطة أحل بها طلاس تلك الاخطاء .

ولما يئست من العثور على بغيقي ، رجعت الى نسخة محمد
عبد العزيز البانكرومي فأعدت الناظر فيها واجتهدت في رد
الكلمات المحرّفة الى ما اعتقدت أنها محرّفة عنه من الكلمات
المناسبة للمقام ، واستطعت بذلك أن أستخرج نسخة منها صحيحة
وقه الحمد بقدر الامكان ، ولم تبق الا كلمات قليلة استعصت عليّ
فأشرت اليها في الهامش . وانما ركبت هذا المركب لأن في قلبي
حرقة منذ ثلاثة عشر عاماً الى الآن من بقاء هذه الرحلة مجهولة
من جمهور القراء ، مع أنها من دقائق تركة السلف التي لا يجوز
بهاؤها في زوايا النسيان ، والله هو المعين
القاهرة : عرصة صفر ، ١٣٥٠

مكتبة الدّكتور المطيب





أخبرنا الامام العالم أبو زكريا يحيى بن علي بن عبد الرحمن
القلسي قراءة عليه قال : حدثنا الفقيه أبو القاسم عبد العزيز بن
يوسف المقرئ في الجامع العتيق بمصر في شهر سنة ثلاث
وخمسين وخمسة مائة قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد بن فتح المعروف
بأبي الحسن المقرئ في سنة ثلاثين وخمسة مائة ، قال : أخبرنا
الشريف الرضي الموسوي أبو اسماعيل موسى بن الحسين بن
علي بن اسماعيل بن علي الحسيني المقرئ^(١) في سنة أربع وثمانين
وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال : أخبرنا الشيخ أبو العباس
أحمد بن إبراهيم الفارسي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين
وأربعمائة قال : أخبرنا أبو القاسم يحيى بن عبد الله الرجل الصالح
قراءة عليه وأنا أسمع ويحيى بن موسى العدل بمصر قال : حدثنا
أبو الحسن أحمد بن محمد المقرئ الواعظ الكواري قال : حدثنا
أبو الفرج عبد الرزاق حران البطين قال : حدثنا أبو بكر محمد بن
المنذر قال : حدثني الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول :

(١) هو غير الشريف الرضي الشاعر فان اسمه محمد بن الحسين (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ)

فارتُ مكة - وأنا ابنُ أربع عشرة سنة لا نبات
بعارضي - من الأبطح إلى ذي طوى وعليُّ بردان يمانيان ،
فرايتُ ركباً مُنيخةً سلمتُ عليهم فردُّوا علي السلام ، فوثب
إلي شيخ كان فيهم فقال :

- سألتُ من أقيت علينا سلامه إلا ما حضرت طعامنا
وما كنتُ علمتُ أنهم أحضروا طعاماً . فأجبتُ مسرعاً
غير محتشم ، فرايتُ القوم بدأوا يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون
بالراحة ، فأخذتُ كأخذيهم كيلاً يستشنع عليهم ماكلي . قال :
والشيخ ينظر إلي ساعة بعد ساعة . ثم أخذتُ السقاء وشربت
رياً ، وحمدتُ الله تعالى وأثنت عليه . قال : فأقبل علي الشيخ
وقال :

- مكي أنت ؟

قلت : - مكي

قال : - قرشي أنت ؟

قلت : - قرشي

ثم أقبلتُ عليه وقلتُ له :

- يا عمِّ بم استدللت علي ؟

فقال : - أما في الحضر طعام ؟ من أحب أن يأكل طعام

الناس أحب أن يأكلوا طعامه ، وذلك في قریش خصوصاً

قال الشافعي : فقلت . - من أين ؟

قال : - من يثرب مدينة النبي ﷺ .

فقلت : - من العالم بها والمتكلم في نص كتاب الله والمفتي
بأخبار رسول الله ﷺ ؟

فقال : سيد أصبح ، مالك بن أنس (رضي الله عنه)

فقال الشافعي رحمه الله فقلت : واشوقاه الى مالك !

فقال لي بحبيبا : عدل الله شوقك ، ألا ترى الى البعير

الأورق ؟

فقلت : أجل

قال : هو أحسن جمالنا قيادا ، وأسهلها مشيا ، ونحن ثمانية

فهر ، ذلك مما حسن الصحبة حتى تصل الى مالك

قال الشافعي رضي الله عنه : فقلت : متى ظعنكم ؟

فقالوا : - في وقتنا هذا

فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها الى بعض وأركبوني

البعير الذي كانوا وعدوني بركوبه . قال الشافعي رحمه الله عليه :

فعلوت على ظهره وأخذ القوم في السير وأخذت أنا في الدرس

تفحمت من مكة الى المدينة ست عشرة ختمة : ختمة بالليل

وختمة بالنهار . ودخلت المدينة في اليوم الثامن بعد صلاة

العصر ، فأتيت مسجد رسول الله ﷺ ودنوت من القبر فسلمت

على رسول الله ﷺ ، ولدت بقبره ، فرأيت مالك بن أنس مؤتزرًا ببردته متشجعًا بأخرى وهو يقول : حدثني نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر - ويضرب بيده على قبر رسول الله ﷺ - قال الشافعي رضي الله عنه : فلما رأيت ذلك هبتُ الهيبة العظيمة ، وجلستُ حيث انتهى بي المجلس ، فأخذتُ عودًا من الأرض فجعلتُ كلما أملي مالكٌ حديثًا كتبتُه برريقي على يدي ومالك ينظر إلي من حيث لا أعلم - حتى انقضى المجلس وجلس مالك ينتظر العشاء المغرب ولم يرَ أني انصرفت فيمن انصرف ، فأشار إلي بيده ، فدنوتُ منه فنظر إلي ساعة ثم قال لي :

- أحرَمِي أنت ؟

قلت : - وقرشي

فقال : كملت صفاتك ، فلم رأيتك سيء الأدب ؟

فقلت : وما الذي رأيت من سوء أدبي ؟

فقال : رأيتك وأنا أملي الالفاظ لرسول الله ﷺ وأنت

تلعب بريقك على يدك

فقلت : عدم الورق ، وكنت أكتب ما تقول

فجذب مالك يدي فقال : مالي لا أرى عليها شيئاً ؟

فقلت : ان الريق لا يثبت على اليد ، ولكن قد وعبتُ جميع

ماحدثت به منذ وقت جلستُ الي حين قطعت

فمجب مالك من ذلك فقال : أعدت علي ولو حديثاً واحداً
قال الشافعي (رحمه الله) فقلت : حدثنا مالك عن نافع عن
ابن عمر - وأشارت بيدي الى القبر كإشارته - عن النبي ﷺ
حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثاً حدث بها من وقت
جلس الى وقت قطع المجلس . وسقط القرص وصلى مالك المغرب
فأقبل علي عبده فقال :

- خذ بيد سيدك اليك

وسألني النهوض معه . قال الشافعي رضي الله عنه : فقامت
غير ممتنع الى مادعا من كرامة . فلما أتيت الدار أدخلني الغلام
الى مخدع وقال لي :

- القبلة من البيت هكذا ، وهذا إناء فيه ماء ، وهذا
الخلاء من الدار (وأشار اليه)

قال الشافعي رضي الله عنه : فمالبث مالك غير بعيد حتى
أقبل والغلام حامل طبقاً فوضعه من يده . وسلم علي مالك ثم
قال للعبد :

- اغسل علينا

فوثب الغلام الى الاناء وأراد أن يغسل علي أولاً ، فصاح
عليه مالك وقال :

- في أول الطعام لرب البيت ، وفي آخر الطعام للضيف

قال الشافعي رضي الله عنه : فاستحسنتُ ذلك من مالك ،
وسألته عن ذلك فقال :

- انه يدعو الناس الى طعامه فحكهُ أن يبتدىء بالغسل ،
وفي آخر الطعام ينتظر من يدخل لياكل معه

قال الشافعي رحمه الله : وكشف مالك الطبق وكان فيه
صحفتان في إحداهما لبن وفي الأخرى تمر ، فسميَ وسميت . قال
الشافعي : فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام ، وعلم مالكُ أنالم
فأخذ من الطعام الكفاية فقال لي :

- يا أبا عبد الله هذا جهدٌ من مُثَلِّ ، إني فقيرٌ معدم
فقلت : لا عذرَ علي من أحسن ، إنما العذر على من أساء
قال الشافعي : فأقبل مالك يسألني عن أهل مكة حتى دنا
العشاء الآخرة ثم قال :

- حكم المسافر أن يحمل نفسه بالاضطجاع
قال الشافعي فتمت لي ليلتي . فلما كان في الثلث الأخير من
الليل عند انفجار الصبح قرع مالك على الباب ، فأقرعت
فقال لي :

- الصلاة يرحمك الله !

فرايته حاملاً إناء فيه ماء ليُسيغ عليَّ ذلك ، فقال لي :
- لا يرعك ما رأيتَ مني ، فخدمة الضيف فرض

قال الشافعي رضي الله عنه : فتجهزت للصلاة ، وصليت
الفجر مع مالك بن أنس في مسجد رسول الله ﷺ ، والناس
لا يعرف بعضهم بعضاً من الغلس ، وجلس كل واحد منا في
مصلاه نسيح الله الى أن طلعت الشمس على رؤوس الجبال
كالعائم على رؤوس الرجال ، فصلى كل امرئ منا ما قسم له
ثم جلس في مجلسه بالامس وناولني الموطأ أمليه وأقرأه على
الناس وهم يكتبون . قال الشافعي رضي الله عنه : فأتيت على
حفظه من أوله الى آخره من القراءة وأتت ضيف مالك ثمانية
أشهر ، فما علم أحد من الانس الذي كان بيننا أينا الضيف . ثم
قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم زائرين لنبيهم
وتسموا الموطأ ، قال الشافعي رضي الله عنه : فأمليته عليهم
حفظاً ، منهم عبد الله بن عبد الحكم وأشهب وابن القاسم . قال
الربيع : وأحسب انه ذكر الليث بن سعد - ثم قدم بعد ذلك أهل
العراق زائرين لنبيهم ، قال الشافعي رضي الله عنه . فرأيت بين
القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة ،
فتوسمت فيه خيراً ، فسألته عن اسمه فأخبرني ، وسألته عن
بلده فقال : في العراق

قال الشافعي رضي الله عنه : قلت : - أي العراق ؟

قال : الكوفة

فقلت : - مَنْ العالم فيها والمتكلم في نص كتاب الله والمفتي
بأخبار رسول الله ﷺ ؟

فقال : - محمد بن الحسن وأبو يوسف صاحباً أبي حنيفة
رضي الله عنه

قال الشافعي رضي الله عنه فقلت : ومتى عزمتم تطعنون ؟

فقال : في غداة غدٍ عند انفجار الفجر

فعدت الى مالك فقلت له : قد خرجتُ من مكة في طلب

العلم بغير استئذان المعجوز فأعود اليها أو أرحل ؟ وفي طلب

العلم فائدة يرجع منها الى عائدة

فقال : ألم تعلم بأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم

رضاً بما يصنع ؟

قال الشافعي رضي الله عنه : فلما أزمعت السفر زوَّدني

مالك بصاع من اقط وصاع من شعير وصاع من تمر وسقاء فيه

ماء . فلما كان في السحر وانفجر الفجر حمل بعض الاداوة وسار

معي الى البقيع ، فصاح بعلو صوتي :

- مَنْ معه كراءٍ راحلة الى الكوفة ؟

فأقبلتُ عليه وقلتُ له : بيم تكثري ولا شيء معك ولا

شيء معي ؟

فقال لي : انصرفت البارحة عنك ، وبعد العشاء الآخرة

قرع عليّ قارعُ الباب فخرجتُ اليه فأصبتُ ابن القامم فسألني
قبول هدية فقبلتها ، فدفع اليّ صرةً فيها مائة مثقال ، وقد
أتيتك بنصفها وجعلت النصفَ لعيالي

فاكترى لي بأربعة دنانير ودفع اليّ باقى الدنانير وودعني
وانصرف . فسرتُ في جملة الحاج حتى وصلتُ الى الكوفة يوم
أربعة وعشرين من المدينة ، فنزلت المسجد بعد صلاة العصر
وصليت العصر . فبينما أنا كذلك إذ رأيت غلاماً قد دخل
المسجد ، فصلى العصر ، فما أحسن يصلي . فتمتُ ناصحاً له
ومُشفقاً فقلت له :

- أحسن صلاتك ، لا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار
فقال لي : أنا أظنك من أهل الحجاز فيكم الغلظة والجفاء ،
وليس فيكم رافة أهل العراق ، وأنا أصلي هذه الصلاة خمس
عشرة سنة بين يدي محمد بن الحسن وأبي يوسف فما عابا عليّ
صلائي قط

وخرج مُعجباً ينفض رداءه في وجهي ، فلتني - للتوفيق -
محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد ، فاستخبرها ولا علم
لي بهما ، فقال :

- هل علمنا في صلائي من عيب ؟
فقالا : اللهم لا

قال : ففى مسجدنا من قد عاب علي صلاتي
فقلا : اذهب اليه فقل له : بم تدخل في الصلاة
قال الشافعي رضي الله عنه فأتاني فقال لى :
- يا من عاب علي صلاتي ، بم تدخل في الصلاة ؟
فقلت : بفرضين وسنة
فعاد اليهما وأعلمهما بالجواب ، فعلما أنه جواب من قد نظر في
العلم . فقالا له :

- اذهب فقل : ما الفرضان وما السنة ؟
فقلت : أما الفرضان الأول النية والثاني تكبيرة الاحرام ،
والسنة رفع اليدين
فعاد اليهما وأعلمهما بذلك . فدخلا المسجد ، فلما نظرا الى
أظنهما ازدرىاني فجلسا فاحية وقالاه :
- اذهب وقل له : أجب الشيخين

قال الشافعي رضي الله عنه : فلما جاءني علمت اني مسؤل
عن شيء من العلم ، فقلت :
- من حكم العلم أن يؤتى اليه ولا يأتي وما علمت لى اليهما
من حاجة ، فإن كان لها الى حاجة فليأتيا
قال الشافعي رضي الله عنه : فقلنا من مجلسهما الى فلما
سألنا علي فمت اليهما وأجلست كل واحد منهما في مجلسه وأظهرت

البشاشة لها وجلست بين أيديهما فأقبل علي محمد بن الحسن
وقال لي :

- أحرمني أنت ؟ قلت : نعم

قال : عربي أم مولى ؟ قلت : عربي

فقال : من أي العرب ؟ قلت : من ولد المطلب

قال : من ولد من ؟ قلت : من ولد شافع

قال : رأيت مالكا ؟ قلت : من عنده أتيت

قال لي : نظرت في الموطأ ؟ قلت : أتيت على حفظه

فعظم عليه ذلك ، ودعا بدواة وبياض ، وكتب مسألة في

الطهارة ومسألة في الصلاة ومسألة في الزكاة ومسألة في البيوع

ومسألة في الفرائض ومسألة في الرهن والحج والايلاء ومن

كل باب في الفقه مسألة ، وجعل بين كل مسألتين بياضاً ودفع

إلي الدرج وقال لي :

- أجب عن هذه المسائل من الموطأ

قال الشافعي رضي الله عنه : فأجبت بنص كتاب الله ومن

سنة الرسول عليه الصلاة والسلام واجماع المسلمين حتى أجبت على

المسائل كلها . ثم دفعت اليه الدرج ، فتأمله ونظر فيه ثم قال لعبيده

- خذ بيد سيدك اليك

قال الشافعي رضي الله عنه : ثم سألتني النهوض مع العبد

تهدئت غير ممتنع وقد حملت بعض أداتي وحمل الغلام بعضها .
فلما صرت الى باب المسجد قال لي العبد :

- ان سيدي أمرني أن لاتصير الى المنزل الا راكبا

قال الشافعي رضي الله عنه فقلت له : قدّم !

قدّم إلي بغلة بسرج محلى . فلما علوت على ظهرها رأيت

نفسى باكيا . وطاف بي أزقة الكوفة الى منزل محمد بن الحسن

فرايت أبو ابا واسعة ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة ، فذكرت

ضيق أهل الحجاز وما هم فيه وقلت : أهل العراق ينقشون بيوتهم

بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ! ثم

أقبل علي محمد بن الحسن وأنا في بكائي ، فقال لي :

- لا يرُعكَ أبَا عبد الله ما رأيتَ فما هو إلا من قُنيةٍ حلال

وبكسبٍ ما يطالبني الله فيه بفرض ، وأنا أخرج زكاتها في

كل عام ، فأسرُّ بها الصديق وأكبتُ بها العدو

قال الشافعي رضي الله عنه : فما بات حتى كساني محمد بن الحسن

خلعة بألف درهم بغلية (قال الشيخ أبو القاسم : يعني وازنة)

ودخل الى خزائنه فأخرج لي الكتاب الأوسط تأليف أبي حنيفة

رضي الله عنه فنظرت في أوله وآخره ثم ابتدأت الكتاب في

ليلتي أتخفظه ، فما أصبحت إلا وقد حفظته - ومحمد بن الحسن

لا يعلم بشيء من ذلك وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب في

للتوازل - فبينما أنا ذات يوم قاعد عن يمينه إذ سئل عن مسألة
أجاب عنها تقليدا وقال :

- هكذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه (ووم عليه في الجواب)
قلتُ له : - الجواب غير هذا فلولا أن قلتَ فيه بالتقليد
لأحسنتُ أدبَ المجالسة ، ولكنك وهمتَ . والجواب من قول
الرجل في هذه كذا وكذا ، وتحتها المسألة الفلانية و فوقها المسألة
الفلانية في الكتاب الفلاني

فأمر محمد بن الحسن بالكتاب فأحضر ، فتصفحته ونظر فيه
فأصاب القول ما قلتُ ، فرجع عن جوابه الى ما قلتُ ، ولم
يُخرج إليّ كتابا بعدها ، وقال : - لقد أمعنتَ النظر
قلتُ : أتيت على حفظ الكتاب وما علمتُ أنه سقط عليّ
منه حرف ولا سنة ولا ألف

قال الشافعي رضي الله عنه : فاستأذنته في الرحيل ، فقال :
ما كنتُ لأذن لضيف يرحل عني ولا ... له مشاطرة نعمتي (١)
قلتُ : ما لهذا قصدتُ ، ولاله أردتُ ، ولا رغبة لي
إلا السفر

قال : فأمر غلامه أن يأتي بكل ما في خزائنه من بيضاء
وجوهراء و من الورق فدفع إليّ ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم

(١) في الاصل تصحيف لم تدبين صوابه

وأقبلت أطراف العراق وأرض فارس وبلاد الاعاجم والقوى
الرجال حتى كنت ابن احدى وعشرين سنة . ودخلت العراق
في أول خلافة الرشيد ، فعند دخولي بغداد وتقدم رجلي لشفي
الطلق في أثري غلام فلاحطني وقال : ما أميك ؟

قلت : - محمد

قال : ابن من ؟

قلت : ابن ادريس

قال : من تكون ؟

قلت : شافعي

قال لي : مطلبي ؟ قلت : أجل

فكتب ذلك في الواح كانت في كفة ونحى سبيلي . فدخلت

الى بعض المساجد أفكر في عاقبة ما فعل ، حتى اذا ذهب من الليل

النصف كبس المسجد ، فأرعب من كان فيه ، وأقبلوا يتأملون

وجه رجل رجل حتى أتوا الى ، فقلت لهم :

- لا بأس عليكم ، هذه الحاجة والغاية المطلوبة

ثم أقبلوا الى وقالوا : أجب أمير المؤمنين

قال الشافعي رضي الله عنه : قممت غير ممتنع فلما أبصرت

أمير المؤمنين سلمت عليه السلام السنة ، فاستحسن الالفاظ

والسياق وميز ذهنه بين الخطأ والصواب ورد علي الجواب ،

ثم قال لي :

- تزعم أنك من بني هاشم ؟

قلت : يا أمير المؤمنين كل زعم في كتاب الله باطل

- فقال لي : فتقول ؟ قلت : نعم

فقال لي : - ابن لي عن نفسك

قال الشافعي : فانتسبت حتى بلغت آدم عليه السلام بالطين .

فقال لي الرشيد :

- ما نكون هذه البلاغة إلا في رجل من دار عبد المطلب

هل لك أن أريك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وينفذ

حكمتك فيهم وحكمي على ما اشترط وجاء به الرسول ﷺ وأجمعت

عليه الأمة ؟

قلت : - لو سألتني يا أمير المؤمنين أن أفتح باب القضاء

بالفداء وأخلفه بالعشي بجمعتك هذه ما فعلت ذلك أبداً

قال : فبكي الرشيد وقال : هل تقبل من عرّف من دينانا شيئاً

قلت : يكون معجلاً

فأمر لي بألف دينار ، فما برحت من مقامي حتى قبضتها . ثم

سألني بعض الغلمان والحشم أن أصلهم من صاقي ، فلم تسع المروءة

إذ كنت مسئولاً إلا أن قامتهم مما أنعم الله عليّ به ، فخرج لي

قسم كأقسامهم ، وعدت إلى المسجد الذي كنت فيه ليلتي . فلما

أصبحتُ تقدمُ فصلِي بنا غلامٌ صلاةَ الفجر في جماعة وأجاد
القراءة . ولحقه سهو في الصلاة فلم يدر كيف الدخول ولا كيف
الخروج . فقلت له بعد السلام :

- أفسدتَ علينا وعلى نفسك ، فأعدْ

فأعاد مسارعاً وأعدنا . ثم قلتُ له :

- ائتني بيباضٍ أعمل لك فيه باب السهو في الصلاة والدخول

فيها والخروج منها

فسارع اليّ بذلك ، ففتح الله قلوبنا وكشف عن صدري

فألفت له كتاباً لما رأيت من رغبته في العلم من نصّ كتاب

الله تعالى وسنة الرسول ﷺ واجماع المسلمين ، وسميته باسمه ،

وهو أربعون جزءاً ويعرف ؛ (كتاب الزعفراني) وهو الذي

وضعت بالعراق حتى تكامل في ثلاث وستين

وولاني الرشيد صدقات نجران وقديم الحاج فخرجت

أصالم عن الحجاز فرأيت فيها قبة فلما أشرت اليه بالسلام أمر

قائد القبة أن يقف وأشار اليّ بالكلام ، فسأله عن مالك وعن

الحجاز ، فقال لي :

.. قد أربع وأخرف بمصنف

ثم عاودته الى السؤال فقال لي : أشرحُ لك وأختصر

قلت : في الاختصار البلاغة

فقال : انه صحيح الجسم وان له ثلاثمائة جارية يبیت عند
الجارية ولا يعود اليها الا الى السنة . وقد اختصرت لك خبره
قال الشافعي رضي الله عنه : فاشتبهت أن أراه في حال غفله
كما رأيت في حال فقره فأتيتُ الزعفراني فقلت له :

- ثمَّ من المال ما يصلح للسفر ؟

فقال : انك لتوحشني خاصة والعراق عامة بظنك عنه ،

وجميع مالي فيه لك

فقلت له : بيم تعيش ؟

قال : الجاه أوسع من المال

ثم نظر اليّ وحكمني في ماله وأخذت منه على حسب الحاجة
وصرت على ديار ربيعة ومضر ، فلما أتيتُ الى حرّان
دخلتها يوم الجمعة فذكرتُ فضل الغسل وما جاء فيه فقصدت
الى الحمام فلما سكبت الماء على رأسي رأيت شعراً رأسي شعراً
فقلت : أحيي سنة في سنة فدعوتُ المزين فلما بدأ في رأسي
وأخذ القليل من شعري دخل قوم من رؤساء البلد فسارع الى
خدمتهم وتركني . فلما قصوا ما أرادوا منه عاد الى ما أردته
وخرجتُ من الحمام فدفعتُ اليه أكثر ما كان معي من الدنانير
وقلت له :

خذ هذه ، واذا وقف بك غريب فلا تحقره

فنظر اليّ متعجباً مما صنعتُ معه ، ويرى الناس . فاجتمع
على باب الحمام خلق كثير . فلما خرجتُ عاتبني الناس على
فعلِي به فقلت :

- انه لو أمكن أكثر مما فعلت لسارعت

فبينما أنا كذلك اذ خرج بعض من كان في الحمام من الرؤساء
فقدّمت له بغلة فركبها ، فسمع خطابي لم فأنحدر عن البغلة
بعد أن استوى عليها وقال لي :

- أنت الشافعي ا فقلت : نعم

فمدّ الركاب مما يليني وقال لي : بحق سيدك الاركبت
ومضى بي الغلام مطرقاً بين يدي حتى أتيت الى منزل الذي
ثم أتى وقد حصلت في منزله فأظهر البشاشة ، ثم دعا بالغسل
ثم حضرت المائدة فسئى وجبست يدي . فقال :

- مالك يا أبا عبد الله ؟

فقلت : طعامك علي حرام حتى أعرف من أين هذه المعرفة
فقال : أنا ممن كنت سمعت منك الكتاب الذي وضعت

بيخداد وأنت لي أستاذ

قال الشافعي رحمه الله فقلت : العلم بين أهل العلم رَحِمٌ متصلة
فأكلت بفرحة إذ لم يعرفني الله إلا بيني وبين أبناء جنسي
وأقتُ ضيفه ثلاثاً . فلما كان بعد ثلاث عرض عن نفسه

حكّارم ، ثم قال :

- حول حرّ ان أربع ضياع ما بجرّان أحسن منها ، أشهدُ

أنّه ان اخترتَ المقامَ فأها هدية مني اليك

فقلتُ : فبمَ تعيش ؟

قال . في صناديقي تلك (وأشارَ بيده اليها) أربعون

ألف درهم أُجرُ بها فتكون لك الضياع وأعيشُ أنا في التجارة

فقلتُ : ليس الى هذا قصدتُ ، ولا عن بلدي خرجتُ

إلا بنية أن أعرّضَ علما يورث حسنَ الثناء في الدنيا والعافية في

الآخرة محمودة صحبته محموداً عليها بقبطة

فقال لي : فالمال ذن من شأن المسافر

قال الشافعي : قبضت الأربعين الألف وخرجت من مدينة

حرّان وبين يديّ أحمال الدنانير والدرهم يلتقي الرجال وأصحاب

الحديث : منهم أحمد بن حنبل ، وسفيان بن عيينة ، والأوزاعي

فما زلتُ أجز كل انسان منهم على قدر ما قسم له ومعرفة

حتى دخلتُ مدينة الرملة وليس معي إلا عشرة دنانير فاشتريت

بها راحلة واستويتُ على كورها وقصدتُ الحجاز فما زلت من

منهل الى منهل حتى وصلتُ مدينة الرسول ﷺ بعد سبعة

وعشرين يوماً بعد صلاة العصر ، فأنخت راحلتي بأزاء المسجد

بوصليت العصر فائتاً ورأيت كرمياً من الحديد عليه مخدة من

قباطي مصر مكتوب عليها بالحرير « لا إله إلا الله محمد رسول الله هارون أمير المؤمنين » قال الشافعي : وحوله أربعائة دقتر أو يزيدون فبينما أنا كذلك إذ رأيت مالك بن أنس قد دخل من باب النبي ﷺ وقد فاح عطره في المسجد وحوله أربعائة أو يزيدون يحمل ذبوله أربعة . فلما وصل قام اليه من كان قاعداً وجلس على الكرمي وألقى مسألة في خراج العمل . قال الشافعي رحمه الله فلما سمعت ذلك لم يسعني الصبر فقامت قائماً في سور الحلقة ورأيت انساناً بطلاً قتلته له :

- قل : الجواب كذا وكذا

فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال . فأطرق عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب ، فخالفوه ، فقال لهم :
- أخطأتم وأصاب الرجل

ففرح الجاهل باصابته . فلما ألقى السؤال الثاني أقبل عليّ الجاهل يطلب مني الجواب ، فأقبلت عليه وقلت له :

- الجواب كذا وكذا

- فبادر بالجواب . فلم يلتفت اليه مالك ، وأقبل على أصحابه واستخبرهم عن الجواب ، فخالفوه ، فقال لهم :
- أخطأتم وأصاب الرجل

قال الشافعي رضي الله عنه : فلما ألقى السؤال الثالث
قلت له :

- الجواب كذا وكذا

فبادر بالجواب ، فأعرض مالك عنه وأقبل على أصحابه
فخالفوه في الجواب فقال : - أخطأتم وأصاب الرجل
فنادى مالك بأعلى صوته أن ادخل ، ليس هذا موضعك
قال الشافعي : فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجنا بين يديه
فقال له مالك :

- قرأت أو سمعت الموطأ ؟ قال : لا

قال : فنظرت في مسائل ابن جريج ؟ قال : لا

قال : فلقيت جعفر بن محمد الصادق ؟ قال : لا

قال : فهذا العلم من أين لك ؟

قال له : الى جانبي غلام شاب يقول لي : قل الجواب كذا
وكذا ، فكنت أقول ما يقول

فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك قال :

فكسرت الحلقة عليه . فقال للجاهل :

- قم ، ومر صاحبك بالدخول علينا

فدخلت عليه ، فاذا أنا من مالك بالموضع الذي كان فيه

الجاهل جالسا بين يديه . فتأملني ساعة فقال لي :

- أنت الشافعي ؟ . فقلت : نعم
فضمني الى صدره ونزل عن كرسیه وقال :
- أقعد فأتم هذا الباب الذي نحن فيه حتى أنصرف الى المنزل
وأمر ب اليك

قال الشافعي : فألقيت أربعاً مسألة في خراج العمل ، فما
أجابني أحد بجواب فاحتجت أن آتي بأربعائة جواب وقلت :
الاول كذا وكذا ، والثاني كذا وكذا . وسقط الفرض وصلينا
العشاء المغرب ، فضرب مالك بيده الي . فلما وصلت المنزل
رأيت بناء غير البناء الاول . فبكيته . فقال لي :
- م بكاؤك ؟ كأنك خفت يا أبا عبد الله - مما ترى -
أي قد بعث الآخرة بالدنيا

قلت : هو والله ذاك

قال : فطبت نفساً وقرأ عيناً هذه هدايا خراسان وهدايا
مصر نجية من أقاصي الدنيا . وقد كان ^{عليه السلام} يقبل الهدية ويكره
الصدقة . وإن لي ثلاثمائة خلعة من ريق خراسان وقباطي مصر
وعندي جواربي مثلها لم تستكمل الحلم فهي هدية مني اليك ، وفي
صناديقي تلك خمسة آلاف دينار ، وأخرج منها زكاتها عند كل
حول يحول عليها ، فلك مني نصفها هدية مني اليك
فقلت : انك موروث وأنا موروث ، فلا يثبت جميع

ما وعدتني إلا تحت ختمي ليجري ملكي عليه فان حضرني أجلي
كان لورثتي دونك ، وان حضرك أجلك كان لي دون ورثتك
فتبسّم في وجهي وقال : أبيت إلا العلم
قلت : لا يستعمل أحسن منه

قال الشافعي : فما بئتُ إلا وجميع ما وعدني به تحت ختمي
فلما كانت في غداة صليتُ الفجر في جماعة وانصرفت الى
المنزل أنا وهو ، وكل واحد منا يده في يد صاحبه ، إذ رأيت
كراعاً على باب من مهاري خراسان^(١) لو قدّمت المصاييح الى
جلودهن لا وقتت ، قلت :

- ما رأيت كراعاً أحسن من هذا

فقال : هو هدية مني اليك يا أبا عبد الله
قلت له :

- دع منها دابة

فقال : أنا أستحي من الله تعالى أن أطأ قرية فيها قبر نبي

الله ﷺ بجافر دابة

فقال الشافعي : فعلت أن ورع مالك على حاله

قال : فأقت عنده ثلاثاً ثم ارتحلتُ الى مكة وأنا أشرق

(١) الكراع هنا : جماعة الخيل

بِئَمْرِ اللَّهِ وَنِعْمِهِ وَالْقُرْبَىٰ وَيَزِينُ الْعِلْمَ نَحْنُزِي (١) . فلما وصلت
الى الحرم ، خرجت المعجوز رحمة الله تعالى ونسوة معها
فلقيتني وضممتني الى صدرها ، وضممتني عجوز كنت آلفها
وأصمتها خالتي وقالت :

- أليس أمك صاحبة ألم يأكل فؤادها عليك (٢)
قال الشافعي : وهي أول كلمة سمعتها في من امرأة (٣)
فلما هممت بالدخول قالت لي المعجوز :

- الى أين عزمتم ؟

قلت : الى المنزل

قالت لي : هيهات ، تخرج من مكة بالامس فقيراً لآمال لك
وتعود اليها مثيراً مفتخراً علي ؟
فقلت لها : ما أصنع ؟

قالت : اضرب قبابك في الابطح ، وناد في العرب أنك
تشبع الجائع وتحمل المنقطع وتكسو العاري ، تريح ثناء الدنيا
وثواب الآخرة

ف فعلت ما أمرت وسار بذلك الفعل الرجال على آباط
الابل ، وبلغ ذلك مالكا رضي الله عنه فكتب إلي يستحني

(١) هذا الموضع كان في الأصل في غاة القموض والتعريف

(٢) هذه العبارة أيضاً مضطربة جداً في الأصل

(٣) الكلمات التي كانت في مكان البياض سقيمة جداً

على هذا الفعل ويعدني أنه يحمل لي في كل عام مثل ما (١)
منه وما دخلت مكة وأنا أقدر على شيء مما كان معي إلا نعلي
وخمسين ديناراً فوقت قرية من يدي فناولتني إياها أمةً على
كتفها قرية فأخرجت مامي وأجزتها خمسة دنانير فقالت
علي العجوز:

- ما أنت صانع ؟

فقلت لها : أجزتها على فعلها

فقالت : ادفع إليها جميع ما معك

قال : فدفعته إليها ، ودخلت مكة فماتت تلك

الليلة إلا مديوناً

وأقام مالك رضي الله عنه يحمل إلي كل عام مثل ما كان
دفع إلي أول مرة وظيفاً إحدى عشرة سنة . فلما مات رحمه الله
ورضي عنه ضاق بي الحجاز ، وخرجت إلى مصر فعوضني الله

عبد الله بن عبد الحكم فقام بالكلفة

فهذا جميع ما لقيت في سفري . فافهم ذلك يا ربيع

قال الربيع : فسألني المزي إملأ ذلك بمحضرتة فما وجدنا

بالمجلس فرصة ، فما وقع كتاب السفر لأحد غيري من أصحابه :

لأحرمة ولا غيره . والله أعلم

فهرس

	صفحة
٣	مقدمة الناشر
٥	سند الرحلة الى راويها الربيع بن سليمان
٦	الشافعي وهو يريد في صباه أن يطل على الدنيا من أفق مكة
٧	سفر الامام من مكة الى المدينة وهو ابن ١٤ سنة
٨	اكتشاف الامام مالك نباهة الشافعي ونبوغه
٩	نزول الشافعي ضيفاً على الامام مالك مدة ثمانية أشهر
١١	الشافعي يملئ المرطاً على وفرد العلماء من مصر وغيرها
١٢	سفر الشافعي الى العراق
١٣	كيف اجتمع الشافعي بمحمد بن الحسن وأبي يوسف
١٥	محمد بن الحسن يمتحن عبقرية الشافعي
١٦	نزول الشافعي ضيفاً في قصر محمد بن الحسن في الكوفة
١٧	الشافعي ينسب محمد بن الحسن الى الصواب من مذهب أبي حنيفة
١٨	الشافعي يطوف العراق وأرض فارس وبلاد الأعاجم
١٨	وصول الشافعي الى بغداد واجتماعه بهارون الرشيد
١٩	الشافعي يأبى أعلى المناصب في دولة الرشيد

صفحة

- ٢٥ الشافعي يؤلف (كتاب الزعفراني)
- ٢٥ الشافعي يسأل الحجاج العائدين من المدينة عن أحوال مالك
- ٢٩ رحلة الشافعي الى ديار ربيعة ومضر ونزوله في حرّان
- ٢٣ أريحية تليد للشافعي في حرّان
- ٢٣ وصول الشافعي الى الرملة في فلسطين وعودته الى الحجاز
- ٢٥ الشافعي في حلقة مالك بعد إرائه
- ٢٦ مللك ينزل للشافعي عن شعار نروته
- ٢٨ اجتماع الشافعي بأمه في مكة ونجده من الثروة
- ٢٩ مالك يرتب للشافعي مرتباً سنوياً من المال
- ٢٩ خروج الشافعي الى مصر بعد وفاة مالك



obeykandl.com